جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الإبداع وانهيارات حركة الوجود في الشعر العربي المعاصر دراسة تحليلية.

إعداد
د . منال سعيد الخصاونة
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية في جامعة نجران
د.نهلة ابراهيم
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية في جامعة نجران

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء الثالث
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

ينفتح النص الشعري المعاصر، على قراءات متنوعة، غير تلك التي اعتدنا عليها، وتأويلات قد يشترك فيها قارئان أو يختلفان، ممّا تطلب تغير ما قَدُم من أثاث ، وتعويضه بأثاث جديد، يخدم تحّولات الواقع المتسارعة، ويُلبي طموح الإنسان المعاصر وكماله، فكان "الإبداع" الذي اتخذه الشاعر العربي المعاصر مطيّة لذلك، وكان الشعر المعاصر الذي انبثقت عصرنته من خلال ما أصبح يتميّز به شكلاً ومضموناً، فأطلق فكرة البحث، لتكشف عن النضج الفكريّ الذي وصل إليه الشاعر المعاصر، الذي نفض الغبار عن ظاهرة توظيف الإبداع وآلياته داخل النص الشعري، ليعبر عن مضامين جديدة ومعاصرة .

ولا شك أنّ الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو تقريب النص المعاصر من القارئ، وتمكينه من الولوج في أعماق القصيدة، لاستيعاب حقيقة الإبداع، وعلاقته بانهيارات حركة الوجود المتمثلة بالغياب والزوال والموت.

إلا أنّ أول عقبة اصطدمت فيها دراستنا هذه، هي عدم توافر دراسات تعيننا بما تحويه من أفكار وملاحظات، على إضاءة العديد من الجوانب المظلمة وتمهد لنا الطريق للتوسع في كل ماتم التوصل اليه،من أفكار، ونتائج.

أن هذه الدراسة تكشف عن نظرة جديدة للشاعر المعاصر للواقع والكون نظرة رؤيا،(لا رؤية)تغور في اللاشعور، وتحاول كشف اللامرئي من

الكون بمنطق تفسيري لمختلف الأسئلة المحيرة للذهن، ومنطلق واقعي داخليّ تتابع فيه الدفقات الشعوريّة

والحق يُقال أنّ الشعراء المعاصرين العرب الذين تناولتهم هذه الدراسة، قد استطاعوا أن يحملوا اعمالهم تفسيراً إنسانياً جديداَ للحياة ،المرتبطة بدورها بشكل طبيعي بالموت والزوال.

وبعد فهذه محاولة أولى، حسبها أنّها، ألمت ولو قليلاَ بظاهرة لجوء الشاعر العربي المعاصر، إلى دائرة الإبداع، هرباً من انهيارات حركة الوجود، في سبيل تحقيق خلوده، أو بقائه، وقد بذلت فيها جهداً غير مبرّئ من النقص، قد يكون سبيلا للاقتراب من جهود أخرى في ميدان الدراسات الأدبية وتسهيل السير فيه، مما جعلنا نخوض غمار هذا البحث معتمدين على ما استقرأناه من دواوين الشعراء العرب المعاصرين.،وما كان من فضل في ذلك من الله وحده، هو أهل الحمد والثناء الطيب لا أحصي ثناء عليه، كما أثني هو على نفسه.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أننا قد اعتمدنا على عينات عشوائية من الدواوين العربية الحديثة، من مختلف أقطار العالم العربي، وذلك لمعرفة الكيفية التي تعامل معها هذا الشاعر أو ذاك، مع انهيارات حركة الوجود، ونحن نعلم كل العلم أننا لم نستقص بشكل كاف كل الدواوين الشعرية المعاصرة، التي تضمنت مثل هذه الظاهرة، تخييلاَ، وتشخيصاً.

وقد جاءت خطة البحث مبدوءة بمدخل تضمن سبب لجوء الشاعر العربي المعاصر للإبداع، تم تقسيمه إلى ثلاثة فصول، تطرقت في الأول إلى : الإبداع والغياب بشقيّه : غياب الأنا، وغياب الآخر،أما الفصل الثاني

تناولت فيه الغياب والأزمة (سياسية، اقتصادية، ثقافية، فكرية)، واختص الثالث بعرض الإبداع وآلياته. وقد تمّ ذلك كلّه بالاعتماد على الجانب التطبيقي التحليلي لكل النصوص الشعريّة التي خدمت هذه الظاهرة.

مدخل...

ظهرت تجربة الشاعر العربي المعاصر مع الإبداع، أثناء سعيه للتعبير عن رغبته في الخلود، وخوفه من الغياب والفناء. هذا الخوف الذي جعل الإبداع عنده صورة من صور تحقيق الذات، فالشاعر يفنى وتخلد مفردات قصائده، التي تبقى نابضة بالحياة، رافضة للموت، وما يربطه به من غياب.

فليس عجيباً أن تكون لحظات الألم أكثر خصباً وعطاء، لأنّها أدعى إلى التأمل من لحظات الفرح والهناء فالألم قاعدة الحياة، والسعادة استثناء ومن هنا كان الشاعر غير فارغ للتعبير عن سعادته في لحظتها الحاضرة، لأنّه يكون منهمكاً في مذاقها الطيّب. حتى إذا مضت حلاوتها، خلّفت طعم المرارة في فمه، وجعلته يُعاني من جديد.

ثم إنّ هذا التقلّب المُخيّب للحياة، قد أوصل الشاعر العربي المعاصر، إلى درجة عالية من التشاؤم، وانعدام التوازن، فلم يجد غير شرنقة " الإبداع "، ليتقوقع داخلها، آملاً أن يُعانق الحياة من جديد تماماً كما كانت في أجمل لحظاتها.

الفصل الأول:

١- الإبداع وغياب الآخر

يتجاوز الشاعر المعاصر في هذه الزاوية، ذلك الإحساس الجزئي الذي ينتابه خلال تجربة الغياب (الموت) التي يعيشها، ليتحدث عن تجربة اكتمل فيها وعيه، وتحوّل إلى نظرة واعية، عكسها من خلال ذاته، ليعطي معنىً أكثر شمولية ل" تضاؤل الإحساس الفردي بالذات، والشعور به من خلال الآخر "[١]

لذلك فإنّ الإبداع هنا هو إحدى آلياته، في مقاومة حقيقة الغياب /الموت[٢]وبالتحديد غياب/موت الآخر، ومن ثم خلق التواصل مع من ذهبوا، والذين لن يتمكن من رؤيتهم مرة أخرى:

كما أنتِ تتخلّدين في هذه القصائد التي أكتبها وأطمرها

تحت جذور الأشجار، وأرميها في البحيرات ومنابع

الأنهار، لتذوب في الماء وتتبّخر غيوماً ثم مطراً إلى أبد الآبدين[٣]

---

١ ما قالته النخلة للبحر" الشعر المعاصر في البحرين"، علوي الهاشمي، دار الحرية، بغداد، د.ط،١٩٨١م،ص٥١٩.

٢ الشعر والموت، فؤاد رفقه، دار النهار للنشر، بيروت، د.ط.١٩٧٢م.

٣ ناظم عودة. قصائد الحب والزوال، الدار العربية للعلوم: بيروت.ط(١)،٢٠١٢م ص٦٠.

القصيدة هنا مصدر إحساس الشاعر بالقوّة، ووسيلتة للانتصار على الموت، إنّها هنا عنوانات تختزل مشاهد اصطراع الهموم في داخل الشاعر[٤]،لتصبح المكان الذي يتسم بالديمومة والحياة،وبانتصار الإبداع (القصيدة) على الموت، نستذكر أسطورة عشتار، التي حققت هي الأخرى الانتصار على الموت، حين أعادت الحياة إلى تموّز ، ومن ثم إلى كائنات الأرض جميعاً.

هكذا يُزيل الشاعر بالإبداع غياب الآخر/ المحبوبة، فيجعلها متماهية بعناصر الكون: الأشجار، البحيرات، منابع الأنهار، الغيوم، المطر، ليستبدل بالتالي الجسد الفاني بالروح الخالدة، المنصهرة بدورها في القصيدة:

الحياة سرابٌ يا حبيبتي

والشعر يسيل من شفتيك كالنبيذ الأحمر

هذا الشراب العذب هو حقيقتنا وحُلْمنا [٥]

في هذا الحوار الأحادي الجانب، يستدعي الشاعر الحبيبة الغائبة بظلالها بوساطة الشعر/القصيدة، ليقهر إحساسه بالغياب، والوحدة: "الحياة سراب يا حبيبتي"، ولينتصر بالشعر على الفناء/ الموت: "هذا الشراب العذب هو حقيقتنا وحُلمنا"

٤ المكان والرؤية الإبداعية، نادية غازي الغزاوي، آفاق عربية، ع ٣_٤، ١٩٨٩.

٥ ناظم عودة. ص٦٧.

وتتضح أمامنا العلاقة بين من غابوا/ المحبوبة، والشعر/ القصيدة، والتي تبدو كالعلاقة بين الزهرة والثمرة إذ ينفي أحدهما الآخر، ولكن لا تكون الثمرة بغير الزهرة فيصبح الغياب أصل الوجود وكينونته الخالدة: "والشعر يسيل من شفتيك كالنبيذ الأحمر".

هكذا يفتت ناظم عودة الأشياء الواقعة في المكان، لكي يفقدها تماسكها البنائي الماثل أمامنا، ولا يُبقي منها إلا صفاتها، ثم يصهرها صهراً جديداً بذاته ،وتموّجات نفسه وطاقته الفكرية[٦] ليجعل من الإبداع (الشعر، القصيدة) بديلاً للفقد الذي يحيط به من كل جانب ولا يستطيع إلا أن يراه:

هل تسمعين ذلك الصراخ الذي ينفتل مثل زوبعة؟!

هل تبصرين كيف يضطرب ماء البحيرة تحت قدميك؟

هكذا يجتاحني الفقد؛ فقدُك الذي يشق طريقه كسهم

يخترق الفريسة [٧]

إنّه الموت، الذي يسيطر على كل شيء، والمحتوي لكل شيء، ولعل هذه الحقيقة، هي التي جعلت الشاعر يصل إلى يقين داخلي، أثناء بحثه عن الحقيقة: كلما ازداد الألم، انبعثت الحياة أصفى وأوضح:

تخاطبني القصائد والشعراء : أكتب الشعر بخطواتي

---

٦ جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغة عند العرب،ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٨م، ص١٤.

٧ ناظم عودة ص٦٦.

التائهة ونظراتي الشريدة

أرسم في كلّ مأوى بيتاً دافئاً وأغفو فيه كما تغفو قطةٌ

حتى تلسع الشمس أطراف أصابعي[٨].

القصائد/ الشعر، وسيلة الشاعر للتجّدد، وتجاوز ألم الواقع ،إنّهما وسيلة للخلاص[٩] " أكتب الشعر بخطواتي التائهة ونظراتي الشريدة"، إذ يوصله الإبداع إلى عالم مُتخيّل أجمل حيث يتخلص في داخله من خساراته وانهيارته أمام قسوة الغياب: "أرسم في كل مأوى بيتاً دافئاً وأغفو فيه كما تغفو قطة... حتى تلسع الشمس أطراف أصابعي".

الحياة بلا إبداع لا معنى لها، والإنسان يتحاشى الشعور بالألم، الذي يحاصره كيفما توجه بالإبداع، لأنه الوحيد الذي لا يفنى.يقول:

إننا نفنى كما تفنى النباتات والحيوانات دون أن نعرف حقيقة الحياة والموت

ننشغل بكل مالا يفنى، النحت، الموسيقى، الرسم

الشعر، لكننا لا نعرف الوصول إلى شجرة الخُلد[١٠].

---

٨ المصدر السابق نفسه ص٩١.

٩ ديفيد ريتش، مناهج النقد الأدبي بين النظريّة والتطبيق.ت.محمد يوسف نجم، دار صادر: بيروت، ١٩٦٧.ص٢٢٠.

١٠ ناظم عودة. ص١٢٠.

إذن فما لا يفنى – عند الشاعر – مرتبط بالإبداع: النحت، الموسيقى، الرسم، الشعر، الذي يحرر دواخل الشاعر من الاستسلام المباشر للموت، والفناء :"ننشغل بكلّ مالا يفنى".

وبما أنّ كلّ كامل لابد أن يُداخله النُقصان في جانب من جوانبه فإن الإبداع الذي يُمثل دائرة اللافناء، لا يؤدي إلى الخلود الجسدي ، "لكنّنا لا نعرف الوصول إلى شجرة الخلد"،إلا أنّه نوع من البقاء الروحي، مما يجعلنا نشعر أننا أمام غياب غير مكتمل، وخلود غير متحقق.

إنه رفض للموت، الذي يعني بطريقة ما: عقم الحياة، لارتباطها باستحالة معرفة سرِّ الخلود بشقّيه الجسديّ والروحيّ، وانحطاطها، وخطفها نحو نهايات التلاشي، والزوال، والفناء. لكنّ الانشغال بالإبداع يحرر الذات البشرية، من ضعفها، وسكونها:

معاً نعلّق قصائدنا على أستار الكثبان،

كم جميل أن تركض الصحراء فينا وحيواناتُها!

كم جميل أن نركض فيها

ونفتح أذرعنا وكلماتنا وأرواحنا ونعانق الهواء!

يتحد الشاعر مع الآخر، أثناء خلق فِعل الإبداع:" معاً نعلّق قصائدنا، فيُشكل الحاضر وفقاً لعلاقات جديدة، تنفتح بدورها على مستويات غير محدودة، زمانيّاً ومكانيّاً، حيث يتداخل فيها الماضي (المعلقات على أستار الكعبة)، بالحاضر (المعلقات على أستار الكثبان)، أثناء مواجهته لحركة الزمن الحاضر التي تقود بدورها إلى الموت والزوال.

الإبداع في الماضي (معلقات الشعراء الجاهليين)، رمز واضح جعل من الموت حالة من الحياة التي امتدت خارج الزمان لثبات المكان، من هنا احتاج الإبداع في الحاضر، إلى بديل لهذا الثبات المكاني الذي افتقده بسبب الكثبان التي تتسم بديمومة الحركة والتبدّل، فظهر " الحصان" :

اتكئ على منعطف الكثيب ومعي

حصاني معي هذا الامتداد المطلق.

هكذا يُنهي الشاعر – وفقاً لتصوّرنا – تجربته مع غياب الآخر، متمسكاً بالحياة حتى آخر نفس، رافضاً للموت ليصبح الموت عنده موت الإبداع، وليس أيَّ شيء آخر:

لا شي كالقراءة، يُطري ذبول الروح[١١]

فبالقراءة ينحل لغز الموت، الأكثر حدة، والذي تزداد مأساته عمقاً كلما شارف الإنسان على مواجهته.

٢- الإبداع وغياب الأنا

عرض بعض الشعراء المعاصرين تجربتهم مع موت الأنا/ غياب الأنا، وزوالها، من خلال حتمية المواجهة، هذه المواجهة التي ظهرت كرد فعل نفسيّ على سطوة هاجس الموت، الذي خلّفته تجربة غياب الآخر.

الآن تتركني للغة وتمضي، كمشهد دراميّ مكّرر لقصيدة تنزلق بعيداً عن شاعر حزين[١٢]

---

١١ المصدر السابق نفسه

إذ لم يعد لدى جلال الأحمدي، وهو يراقب مرور أحبته نحو عالم آخر، بارقة أمل " الآن تتركني"، لتغدو الحياة عبثية، لا قيمة لها: كل شيء يبدو كلعبة بين يدي الموت والفناء.

إنها الوحدة التي تمضي بالشاعر إلى مسالك متشعبة من الضياع، والتي يحاول أن يضيئها بنبضات الحضور، المتمثلة بالإبداع: اللغة، القصيدة " تتركني للغة وتمضي ".

والظاهر أن تجربة الشاعر مع الغياب، قد نجمت إثر فقدانه المفاجئ لأحد أصدقائه المقرّبين، ومن ثم عدم مقدرته على السيطرة على مشاعر الخسران والانفصال الأبديين، التي نشعر بها من خلال تقديمه لقصيدته بقول عمرو بن معدي كرب:

ذهب الذين أُحبّهم، وبقيتُ مثل السيف فرداً[١٣]

إذ يكشف هذا الاتكاء عن مشاعر التضاد بين حضور الشاعر، وغياب الآخر /صديقه ،ليصل إلى تأكيد هاجس "اللالقاء" ،"وبقيت مثل السيف فردا"، الذي تخفّف "اللّغة" /الإبداع ،من قساوته.

فيمضي الشاعر محمّلا بأحاسيس حتميّة الغياب: غياب الآخر، التي تذكّره، بحتميّة غياب "الأنا"،فتمتلئ ذاته رعباً تماماً كما حصل مع جلجامش، بعد موت صديقة أنكيدو،حين هام على وجهه في البراري، فقال:إذا ما متّ ،أفلا يكون مصيري مثل انكيدو، لقد حلّ الحزن

---

١٢ شجرة للندم أو أكثر. جلال الأحمدي. مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة.ط١. ٢٠١٢.

١٣ عمرو بن معدي كرب الديوان.

والأسى بروحي ،خفت من الموت، وها أنا أهيم في البراري[١٤]. وفي هذه اللحظة يدرك الشاعر بأن الخلاص إنما يتمٍ بالإرادة والمواجهة، ليبلغ ذروة مَوته، فيتغلّب على خوفه، ويقف وجهاً لوجه أمام الموت:

ها أنت والموت

تجلسان حول مائدة واحدة

تحدّقان في قالب التورته، وتتساءلان!!

من منكما سيطفئ الآخر ؟![١٥]

لعلّ هذه المواجهة الحادّة بين الشاعر والموت، تشير من ناحية، إلى مقدرة الشاعر على مواجهة الموت، فتنفتح أبواب الأمل، لإمكانية الانتصار على الموت وقهره من ناحية أخرى:

يربكني الغياب،

اسمي يربكني

يربكني الشعور بالدفء

يربكني أن أقول صباح الخير، فلا يسمعني أحد!

أن أفقد أصابعي فلا أجد ما أُشير به إلى نفسي

أن أكتشف اللغة فلا أصير مُمكنا[١٦]

---

١٤ ملحمة جلجامش، ت.طه باقر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٧،ص١١.

١٥ سيرة للندم أو أكثر. جلال الأحمدي. ص٢٢.

كأن الشاعر يضع فلسفة خاصة لتجربة ما بعد غياب الأنا: والتي تجيء صريحة مباشرة: لا يسمعني أحد، لا أجد ما أشير به إلى نفسي، لا أصير ممكناً". والتي تحمل بحثاً عن إمكانيّة التجدّد والولادة على الرغم من إدراكه أنّ لكل شيء نهاية "يربكني الغياب".

إنّ الغياب الذي يخشاه الشاعر في هذه التجربة، هو موت قدرته على الكتابه: " أن أفقد أصابعي فلا أجد ما أشير به إلى نفسي"، وموت قدرته على التعبير عن ذاته "أن اكتشف اللغة فلا أصير ممكناً".

وبالتالي عجزة عن الإبداع:

أيها الشاعر – الجندب – المخدوع بالظلام

من علمّك العزف؟!

من أثقل ظهرك الهش بهذا الحلم؟!

من أغوى جسدك الرقيق بالنور؟![١٧]

إنه يستحضر هنا وبطريقة غير مباشرة تجربة أمريء القيس (زوجٍ أم جندب) الذي عانى في حياته الكثير، والذي ازدادت حياته سوءا بعد موت أبيه، وازداد حزناً، وبؤساً ،بعد أن كان يعيش حياة الترف واللهو والهوى، في ظل الملك، والحياة الرغيدة، هذه المعاناة، وهذا الشقاء، جعلاه يفكر في ذلك المستقبل المجهول: الموت والفناء:

---

١٦ شجرة للندم أو أكثر. جلال الأحمدي.

١٧ المصدر السابق نفسه.

إلى عرق الثرى وشجت عروقي

وهذا الموت يسلبني شبابي[١٨]

فموت امرؤ القيس وفناؤه إلى الأبد مصير مأساوي: إنّه مصير تلك الأطلال والأحجار التي كان يصفها.

وإذا كان امرؤ القيس قد عجز عن تحقيق هدفه المنشود ألا وهو الثار لأبيه (من أثقل ظهرك الهش بهذا الحلم؟!) في الحاضر فإنّه لا شك سيعجز عن تحقيق هذا الهدف في مستقبله، لا لشيء إلا لأنّه ماضٍ إلى الموت والفناء الأبدي (من أغوى جسدك الرقيق بالنور؟!).

هكذا نستطيع أن نستشف – رغم لحظات الألم والمرارة التي يعيشها جلال الأحمدي– نوع الإبداع الذي يواجه به الشاعر غياب الأنا، إنّه ولا شك الإبداع الذي يستطيع أن يحقق بوساطته الموقف الذي هو مرتبط به، الذي يتمثل عند امرؤ القيس بالثأر لأبيه أما عنده فهو إبداع قصيدة تمتلئ بوجوده المسكون بالوحشة والغياب: " القصيدة الطويلة":

أيتها القصيدة الطويلة التي تريد أن تنتهي مني قبل أن

أُغرقها بكامل وحشتي[١٩].

فلربما إن أفرغ عذاباته، المرتبطة بهاجس الغياب (غياب الأنا) في هذه القصيدة (التي لربما تماهت مع المعلقات)، يصل إلى حالة من الهدوء النفسي:

---

١٨ امرؤالقيس، الديوان.

١٩ المصدر السابق نفسه.

... وسابدأ بالتدرّب

على أشياء جديدة، مثل السقوط على فكرة حادة، ومصاحبة بعض الشعراء غريبي الأطوار دون أن أشاركهم متعة الغرق في هزائمهم، اليوم للمرة الأولى سأحترم الغياب ...[٢٠].

٢٠ المصدر السابق نفسه.

الفصل الثاني

الإبداع والأزمة:

من خلال دراسة النص الشعري، بما تيسّر من أحداث ومواقف عاشها الشاعر العربيّ المعاصر، نجد هناك أنماطاً من الأزمات: فهناك الأزمات السياسيّة والأزمات النفسيّة، والأزمات الفكريّة، والأزمات الثقافيةّ. وهنا لابد من الإشارة إلى أنّه من التعسّف توصيف كلّ أزمة على حِدة لأنّ الأزمات – المرتبطة بالإبداع – على تنوعها تطرح فكرة واحدة: ضرورة التجاوز، والخروج عن المعتاد والمألوف.

ولا شك أنّ فِكرة التجاوز التي تطرحها الأزمات المرتبطة بالإبداع، تحتاج إلى طاقة، إلى فعل قادر على التغيير، هذه الطاقة التي تُشابه في كثير من صورها، الطاقة التي يمتلكها الأنبياء.

أراقب الزمان من وراء حائط المكان

لا ريح تحتي أمتطيها

والدخان لم يعُد يقوى على حملي

إلى أرض النبيّ المُنتظر

ولا عصا تشق في البحر

كي أرى الطريق(٢١)

ولّما كان زمن المعجزات، قد انتهى، كان من الطبيعي أن يفكر الشاعر المعاصر بالبديل، هذا البديل الذي تتجسّد فاعليته –هنا – في خلق توقعات غير منتظرة للقارئ(٢٢) ، ينشط الإيحاء ويقوّيه من ناحية ،وينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى(٢٣)

أنا هنا ومن هناك أستعين بالورود كي أعطر الهواء بالكلام(٢٤)

إنّ الإبداع/الكلام، بموجب هذه الرؤية، يصبح ضرباً من المواجهة، أو الطاقة (القوة)، التي تعمل على فك مغالق الأزمات، والحدّ من هولها، مما يجعلها (الأزمة) تنحل وتتهاوى. فيتشكل الكون من جديد وفقاً لإرادة الشاعر/المبدع: أعطر الهواء بالكلام.

ولا شك أنّ الرفض يُعدّ– بشكل عام – من سمات الخطاب الشعري الحيّ، يرى الشعراء من خلاله العالم رؤية فاحصة ،واعية بواقعها، لأنّه

---

٢١ محمد أبو عراق راهن، ما ليس لي،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. أربد.ط١، ٢٠١٢

٢٢ موسى ربابعة. جماليات الأسلوب، والتلقي، دراسة تطبيقية . دار جرير للنشر والتوزيع. عمان. ٢٠٠٨_ط١. ص١١٧.

٢٣ علي عشري زايد. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، بدون.ط٥،ص٥٧.

٢٤ محمد أبو عراق .ص١٢٢

"يعبر عن نطق ظواهر المواجهة المتحديّة المتطلّعة إلى استيعاب قضايا المجتمع المعاصر عامة في نطاق رؤية شخصية معيّنة(٢٥).

ومن هذا المسار ستبرز صنوف "الأزمات" التي تحدّث عنها الشاعر العربي المعاصر، والتي تنفتح في كثير من زواياها على الواقع الإنساني والكوني معاً.

ولما كانت تجربة الإبداع عند الشاعر العربي المعاصر، شديدة الاقتران بهواجسه، وانفعالاته، وعواطفه، كان من الطبيعي أن تمثل تجربة الشعور بالوحدة، إحدى الأزمات النفسية، التي ترصدها هذه الدراسة.

أنا لستُ وحدي، أقول لنفسي

معي وحدتي

كلماتي: قصائد روحي

معي كتبي: وجعي المشتهي

معي طُرقي وبقايا حياتي

معي المستحيل: رؤاي(٢٦)

ففي هذه اللحظة، يصبح الإبداع: " كلماتي، كتبي، طرقي، رؤاي"، الأنيس والرفيق، إنّه الطاقة التي يُعبّر وساطتها عن عدم افتقاده لفعل

---

٢٥ الرفض ومعانيه في شعر المتنبي. يوسف الحناشي. الدار العربية للكتاب. تونس.١٩٨٤م.ص٥.

٢٦ محمد أبو عراق .٨٣.

الحياة، هذا الفعل المتمثل في الحياة المشتركة الواحدة للإنسانيّة، مع كلّ ذرّة من ذرّات الوجود.

أنا كلماتي ...

أنا ما أقولُ وما قلتُ (٢٧)

الإبداع / الكلمات/ في هذا السياق لا يعبر عن موقف مضاد من وقائع مسلّم بها، إنما هو موقف إيجابي من واقع سلبيّ، أنّه نوع من الرفض الذي يحقق للشاعر حضوره اللائق،فهو ليس هربا أو نفيّا،إنما هو مواجهة للواقع ، ودفاع عن الحرية(٢٨).

ومن هذا المنطلق، يتجاوز الشاعر، بؤس الواقع، جاعلاً من كلماته (إبداعه) الطاقة التي ينتصر فيها على الحياة، والقوّة التي تحمي كيانه من الاندثار والزوال:

وحيدٌ أنا في الحياة/ أردد سراً

لكي لا يجيب الصدى

ولا يدٌ تمسح الخوف عني

ولا غيمة تتبنى دموعي

ولا قبر يشكو غيابي الذي طال(٢٩)

---

٢٧ محمد أبو عراق. ص٦٨

٢٨ زمن الشعر، أدونيس.دار العودة،ط٢.بيروت ١٩٧٨،ص١٦١.

٢٩ محمد أبو عراق. ص٨٣

تتحول الأزمة (الوحدة)، لارتباطها بالإبداع (أردد سرّاً)، إلى تجربة مملوءة بالتمرّد والرفض، والخروج على المعتاد والمألوف": لكي لا يجيب..، لا يد ... لا غنيمة...

ولا قبر يشكو غيابي الذي طال"، من خلال تعاليها على الواقع، أو بتعبير أدق من خلال كونها الواقع، وذلك بهدف البحث عن بديل، يحمل في طياته غداً أكثر رأفة بحلم الإنسان ومشروعه المستقبلي(٣٠) .

ولما كان التجاوز في صورته النهائية، مرتبط بانتفاء صفة الوحدة عن الشاعر، كان من الطبيعي أن يقوم الشاعر، بتحويل طاقة الإبداع المرتبطة بفعل الرفض وضرورة التجاوز، إلى طاقة مرتبطة بفعل الخلق ' والتكوين:

أيّ وحي

أتى بك ليُملي عليَّ وجودك

عند كتابة أول بيت فأكملك

جملة ... جملة(٣١)

إذ أصبح الإبداع عملاً مقدساً، يُسجل الشاعر من خلاله كيفية خلق واقع تنكسر داخله خيوط الوحدة . وذلك من خلال متابعته لقصة الخلْق الأولى: قصة آدم وحواء فيتحول الشاعر إلى صانع ومبتكر، يبني عالماً أسطوريّا، يجدل فيه الواقع المجبول بالوحدة، بالماضي الممزوج –

٣٠ الإنسان المتمرد البيركامو،ت، نهاد رضا، مطبعة الكرم ،ط١،لبنان، ١٩٦٣ص٦٧.

٣١ محمد أبو عراق.ص٧٧

بدوره– بالتجدّد والسعادة، لتصبح قصيدته، مستقراً تتقاطع فيه خيوط الزمان بشكل مدهش:

قد تأجّل وقت البكاء

لملمي أخر الموت عن جسدي ...

واستريحي على ثورة العاصفة

حسبنا أنّنا في القصيدة نحيا معاَ(٣٢)

القصيدة هي هاجس الشاعر، التي يُضمنّها أسطورته الخاصة به، وخرافته التي يؤمن بها، ليقاوم بواعث الوحدة، المقترن في لا وعيه بالموت والزوال: حسبنا أنّنا في القصيدة نحيا معاً، من خلال مخطط واضح، ومنطلق أصيل، يستهدف نقد الواقع، وتحريكه، ثم تحريره من عوامل الضعف، وذلك رفض له رباط قائم مع الواقع والحياة(٣٣).

في القصيدة ليس هناك حدود بين الموجود وغير الموجود، أو بين الخيال والواقع، ففيها يمكن أن يكون الجميع معاً. القصيدة هنا تكمل مالا يستطيع الواقع إكماله، لتكشف عن أعماق تجربة إنسانية تتعلّق بمبدأ الكون وقضيته الأساسية: قضية الحياة والموت:

أقول:

أعيش قليلاً لكي لا أموت كثيراً

---

٣٢ المصدر السابق نفسه ٧٩- ٨٠

٣٣ خصائص الأدب العربي، أنور الجندي دار الكاتب اللبناني، بيروت. د،ت، ص٣٦٧.

مللنا من الموت

كم مرةً متُّ

كم مرةً متُّ(٣٤)

الشاعر لا يُريد حُبّاً يملأ به نفسه، وإنّما يُريد أن يخلق محبوبة، تُكمل القصيدة. لأن القصيدة وحدها هي من تحقق له الخلود، وتنتشله من شباك الوحِدة التي تذكره بالموت في كل لحظة في وسط الحياة.

الإبداع/ وسيلة الشاعر للانفتاح على المُطلق ،فيتماهى مع قصيدته، لدرجة نعجز عندها عن التمييز بينه وبين قصيدته:

أنا كلماتي ... أنا ما أقول

وما قُلتُ فيكِ وعنكِ(٣٥)

تصبح الكلمات/ الإبداع، هي المحور الأساس، الذي يحسم الصراع، ويساعد الشاعر على التخلص من التوتر، والتناقض، والاستلاب، الذي يُفقده المقدرة على الفعل/ الخلق، فيتحصّن خلفه (الإبداع)، ويتشرنق داخله، ويتماهى به، في المرحلة الأخيرة، ليضمن أسباب بقائه.

وبما أنّ الشعر لابد أن يحمل موقفاً، بل هو مطالب في أحايين كثيرة بذلك، كان لابد أن يرتبط الإبداع في الشعر العربي المعاصر، بالموقف

---

٣٤ محمد أبو عراق .ص١١٤

٣٥ المصدر السابق نفسه ص٧٢

الفكري، الذي عاش فيه الشاعر محنة الخلاص، وأظهر فيه حلمه بتغيير الواقع، فهو هنا شاعر صاحب هم، كلماته تعبر عن الناس جميعاً، عن الخير والموت والأصدقاء:

للكلمات صوتها الرحيم

لها صورتها الملوّنة

وتفاصيلها الدقيقة

للكلمات قلبها الرؤوم

للكلمات ملامحنا عندما نمارس الصمت(٣٦)

هكذا غدا الشاعر متحداً بالإبداع(للكلمات ملامحنا) مؤمنا بدوره في تحقيق البشارة، والأمل، وتجاوز اليأس والقنوط: "عندما نمارس الصمت"

الإبداع في هذا السياق يُحيل التنافر إلى انسجام، من خلال مزج فكرة الموت، بفكرة الحياة، امتزاجاً تتحوّل فيه عناصر النقص إلى عوامل موجبة:

غايتي كلمةٌ ما

في صحراء ما

غايتي شجرة مسرّة

في صحراء العدم(٣٧)

---

٣٦ سعديّة مفرّج. يقول اتبعيني يا غزالة. الجزائر .ط ١ . ٢٠١٠ص١٣٩

إنّه إلحاح على تقصّي حسّ التفاؤل، عن طريق التشبث بالهدف المستحيل: "غايتي شجرة مسرة، في صحراء العدم"

ولعلّ الأزمة الفكريّة في هذا السياق، تدفع الشاعرة نحو خلق صور تتطفح بفعل التمرد الشموليّ، على كل مظاهر الزيف والتخلّف والقهر، التي يعاني منها الإنسان بهذا العصر:

أريد شجرة تغني

وعصفورة تهادن الريح

وبحراً يكتب مذكراته كل فجر

وجواز سفر صالحاً في كل المطارات(٣٨)

هذه الصورة الممتلئة باللامعقول، تُقدّم تقريراً غير مباشر للحالة الراهنة،للأزمة القائمة.– إنها صورة تمتلئ بكثافة الإيحاء الذي يحمل إدانة واضحة للممارسات السائدة في الواقع، هذا الواقع الممتلئ بالقمع، والعبوديّة، ومظاهر انعدام الإرادة والانسحاق أمام سطوة السلطة.

من هنا كانت الإرادة التي تُعبر عن الرفض، للاستلاب، ورموزه، وصُناعه. فالشاعرة تؤكد هنا أنها تعاني همّاً تتوسع دوائره بين السياسي، والفكريّ، الذي ينتهي بها إلى رسم مشهد فني تلعب فيه عناصر الطبيعة الدور الفاعل في تدعيم إرادة التغيير والتجاوز، التي توصل إلى حريّة الإنسان في كلّ مكان:

---

٣٧ المصدر السابق ص١٤٠

٣٨ المصدر السابق ص١٢٩

"أريد ... بحراً يكتب مذكراته كلّ فجر

وجواز سفري صالحاً في كلّ المطارات"

ومن هنا امتدت الأزمة الفكريّة عند الشاعرة ،والمتمثلة فيما تشعر بّه من انسحاق ذاتها أمام واقع فاسد مليء بالتفسّخ، والعقم، لتشمل موقفها إزاء الوجود من خلال عنصر الزمن:

أُريد نهاراَ قصيراً جداً

يكفي لكتابة قصيدة

أكتبها كما أشتهي

على مهل(٣٩)

الزمن في هذه الأزمة هو السلطة، التي تقف في وجه الإبداع والتجاوز، وهو الحاجز الذي يمنع التحقق والديمومة: "أكتبها كما أشتهي على مهلٍ".

ولعل ما تسعى إليه الشاعرة هو خلْق زمن خاص بالروح، تلتقط فيها أنفاسها ويحتضن تأملاتها / إبداعها/قصيدتها، بعيداَ عن توتر إيقاع الزمن الحياتي الحقيقيّ الذي يتسم بالتلاحق والسرعة .

ولأنّ الليل هو زمن النظر في حقيقة الوجود حين ينفرد الإنسان بنفسه، فيستنتج أنّه وحيد، هذه الوحدة التي يوازي الشعور بها الشعور بالموت، كان لا بد أن يكون (الليل) زمناً طويلاً، بطيئاَ ومؤلماً:

---

٣٩ المصدر السابق نفسه ص١٣٣

أريد ليلاً قصيراً

مؤطراً بالهدوء

ينتهي بموت

لا يعني أحداً(٤٠)

لقد حوّلت الشاعرة خوفها المُتنامي ليلاً، من تهديد لهامش وجودها(٤١)، إلى سلوك انفعاليّ لغريزة الهرب(٤٢)،نحو الموت ،فنجدها تطالب به ،وتبحث عنه ،محققة بذلك رؤية خاصة ،تحمل بين ثناياها. فتنطلق الشاعرة مندفعة نحو الموت (الذي لا يعني أحدا)،محققة رؤية خاصة ،تحمل بين ثناياها التغيير المنشود.

وتكاد هذه الرؤية –في خصوصيتها–تتماهى مع ذات الشاعرة ،حيث أنّه من الثابت رد فعل الذات تجاه المواقف لا يتحدّد وفقا لطبيعة الموقف ،ولكنه يتحدّد وفقا لمفهوم الذات عن الموقف،وما هذا المفهوم إلا رؤية الذات الخاصة لما يتحقق وجودها به،وتقف على الواقع من خلاله،وتستطيع بواسطته أن تجابه به العالم من حولها ،لذلك كان زمن الموت ،ليلا،كي يكون الموت ،لا يعني أحدا.

---

٤٠ المصدرالسابق ١٣٣

٤١ جابر عبدالحميد جابر، وعلاء الدين كفافي ، معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٨٨م،ج،١،ص١٩١.

٤٢ محمد أبو العلا أحمد، علم النفس العام ، القاهرة، مكتبة عين شمس،بدون.ص١٣٠.

الفصل الثالث:

إنّ دراسة الشعر من جهة كونه حاملا لجملة من الثيّمات،ينطوي في الواقع على محاولة لكشف مجموعة من الرؤى الفكرية الخاصة بصاحب الشعر أو قائله،وهي تمثل موقف الشاعر إزاء ما تتضمنه القصيدة .

ويعد الإبداع الذي واجه به الشاعر العربي مظاهر حركة انهيارات الوجود التي يمثلها الموت/الغياب/الزوال،من الثيّمات البارزة في الشعر في الشعر العربي الحديث،والتي أصبحت تشكل مداخل لدراسة ذلك الشعر وفهمه،إذ إن الشعر باعتباره تعبيرا عن تجربة تبدأ ذاتيّة وتنتهي إنسانيّة تنقل تجربة الوعي الإنساني بمفردات الحياة والواقع(٤٣)،وهذا ما أشار إليه أدونيس،إذ رأى أنّ علاقة الشعر بالواقع لغويّة فنيّة،ومن ثم فإن كلّ تغيّر في علاقات الشعر يتضمن بشكل غير مباشر،تغييرا في علاقات الواقع،فهو وإن لم يقلبه سياسيّا أو اقتصاديّا،أو اجتماعيّا،فإنه يتجاوزه ويقدّم صورة جديدة ،لواقع جديد،أفضل وأغنى(٤٤).

ومن هنا فإن آليات الإبداع :الرسم،النقش،النحت،التصوير،وغيرها لا يمكن أن ننظر إليها منفصلة عن التجربة الكلية التي ترسمها القصيدة كاملة،الأمر الذي يجعل مثل هذه الآليات،مدخلا مهما لدراسة التجربة

---

٤٣ اتحاد،الجامعات العربية،المجلة العربية للآداب:مجلة علمية محكمة،مج٣ ،ع١ ،١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م،ص٥٣ .

٤٤ أدونيس،سياسة الشعر:دراسة في الشعرية العربية المعاصرة،ط٢ ،بيروت:دار الآداب،١٩٨٦،ص١٥٧ .

الشعرية،التي تتمحور حول انهيارات الوجود(الموت،الغياب،الزوال،...) لما لها من علائق متشابكة داخل بنية النص.

يرسم

كلما ضج صدره

ببكاء محبوس(٤٥) .

إنّ آلية الإبداع المتمثلة ب"الرسم"،هي وسيلة الشاعرة لملاحقة زمن لم يولد بعد(٤٦)،الأمر الذي يجعلنا نقف وقفة متأنية أمام الزمن الحاضر:"كلما ضج صدره ببكاء محبوس"،الذي يمثل في رأينا زمنا يتضمن احتماليّات الانفجار في أية لحظة،وعليه فإن وقفة ثاقبة ورابطة أمام آلية الرسم أصبحت من مهام القراءة الناقدة الكاشفة للأبعاد الفكريّة المتميّزة والمغايرة في كثير من الأحيان.

"الرسم"هنا هو الخلاص الذي يجعل الشاعرة تتصالح مع الحياة،المتجهة بها نحو الموت / الغياب/الانكسار،إنه طريقتها للتخلص من التشاؤم الذي يسكن داخلها،نتيجة لاتجاه الحياة نحو الموت، فهي كما نرى تعاني "القلق" والغربة، وتكابد جهد الإنسان في توقه الدائم إلى المطلق،ولكنّها لم تشعر خوفا من الموت،أو خشية منه ،بل ربما رأت فيه وسيلة لعناق الأبدية (٤٧):

---

٤٥ يقول اتبعيني ياغزالة،سعدية مفرج،ص٣٠١ .

٤٦ عباس ،إحسان،اتجاهات الشعر العربي المعاصر ،ط٣،عمان ،دار الشروق،٢٠٠١،ص٨١.

٤٧ حمود محمود،الحداثة في الشعر العربي المعاصر:بيانها ومظاهرها،بيروت:دار الكتاب اللبناني،١٩٨٠،ص٣٠١.

كلّ يوم أرسم شارعا جديدا

أظلّل امتداده بالنخيل

ألوّن رصيفه حجرا حجرا

أسوّي أسفلته بحّس أصابعي

أتمّمه خلوا من أي إشارة لمرور (٤٨)

فبالرسم تستعيد الشاعرة قدرتها على إعادة التكوين : "أظلّل، أسوّي، أتمّم"لتؤكد انتسابها إلى عالم الرفض ،وهو الموقف الذي تنطوي إليه القصيدة تجاه الألم : "أتمّمه خلّوا من أي إشارة مرور"، حيث لا خوف ولا قلق، من مظاهر الغياب.فهي كما نرى ذات فاعلة قادرة على إحداث التحول وخلق التجاوز، مهما بلغ حجم اليأس والتمزق العاطفي:

سأرسم بقلم الرصاص

كوخا

تنتصب أمامه نخلة مثمرة

وترعى حوله بعض الأغنام البيضاء

تحديدا

وسأترك لوحتي خالية من الألوان

وأعلّقها خلف باب غرفتي الصامتة(٤٩).

٤٨ يقول اتبعيني ياغزالة،سعدية مفرج،ص١٥١.

فقد أضفى "الرسم"،على هذه التجربة نوعا من الاحتجاج على العالم الذي قدر للشاعرة أن تعيش فيه،بالإضافة إلى كونه وسيلة للمواجهة ،التي يتم من خلالها تحليل القضايا التي يعيشها الإنسان المعاصر ،والتي من أهمها قضية الحياة والموت:

يرتوي صمت هذه الصغيرة

بالسلسبيل الجليل

كلما رسمت بحيرتها المفضلة

في غياب أمها

على بياض صحنها

الصيني(٥٠) .

فبالرسم تشير الشاعرة إلى مكامن الجروح في محاولة لعلاجها،أو التعامل معها بشكل إيجابي:"يرتوي صمت هذه الصغيرة"فتتوسع ساحته ،أمام ملامح الغياب والزوال،التي تخترق الواقع،بتدفقها المستمر،فترسم تلك المحنة الإنسانية،التي تمتاز بطابع الديمومة:"في غياب أمها".

وقد أضفى النقش على الحياة سمة الاستمرارية،فتحوّل بوساطته الموت /الغياب،الذي يمثل بؤرة تنبثق منه مشاعر اليأس والحزن ،من علة الفناء إلى علة الوجود:

---

٤٩ يقول اتبعيني ياغزالة،ص٢٨

٥٠ وهبة،مجدي وكامل المهندس.معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية والآداب،بيروت:مكتبة لبنان،١٩٧٩:مادة سرد

الله كم عابر

يمنح للحياة طعما آخر

ينقش باللون البديع.....اسمه

في أعمق الوجدان(٥١).

فقد توغلت الشاعرة بالقارىء إلى أعماق ذاتها،لتتحدّث عن أدق مشاعرها،وأخفى أفكارها،بطريقة منولوجيّة اعترافيّة ،دون تكلف أو تعمّل ليرى بنفسه أنّ البقاء /الاستمرار ،الذي كان مستحيلا في الخارج ،قد تحقّق في الداخل /أعمق الوجدان،ليصبح النقش مظهرا من مظاهر الانتصار على الحياة التي لا تحمل بين ثناياها إلا الفراق.

ويمكننا القول أنّ النقش يحمل في كثير من جوانبه تمردا على القيود الاجتماعية،والعادات والتقاليد ،والتي تمثل بدورها حالة من الكبح والضغط النفسي التي تجعل الإنسان يتمنى أن يرى ما لا يتحقق في الحياة/الواقع،متحققا في الخيال والوجدان.

وقد هيأ النحت أمام القارىء الفرصة لدخول أجواء أسطورية خارقة،ترتبط بولادة حياة من نوع استثنائي ،لطالما بحث عنه:

بين" طيور الحذر"

والبلاد القريبة جدا

ينتشي شاعر بمكامن السرد

---

٥١ لاشيء يبقى، لاشيء يرحل، ص١٧.

ينثني كي يرى المستحيل

ينحت ما تبقى من الريش

مصائر جديدة(٥٢).

إذ تتكشف من خلال المقطع الشعري السابق ،دلالات أسطوريّة عميقة ،ينثرها "امتلاك الشاعر لمكامن السرد"،التي يستطيع بوساطتها أن يحدث التمازج بين الحقيقة ،والخيال(٥٣)،ليعيد الاتزان إلى وجوده الإنساني ،الذي امتلأ بملامح الاستلاب.

هكذا يعيد الشاعر المعاصر –من خلال النحت–صياغة الحاضر ،فيصبح وسيلته للثورة ،وخلق التغيير (مصائر جديدة)،ومن ثمّ فضح القيم السلبيّة في الواقع الذي يعيش فيه: "طيور الحذر"ممّا أوجد وبطريقة عفويّة دراما كونيّة ،بين القيم السلبية لعناصر الطبيعة: "الحذر /الخوف من الغياب" والقيم الإيجابيّة لها :مصائر جديدة/الحريّة /الحياة الدائمة،هدفها استعادة نبض الحياة من جديد.

أما التصوير الفوتوغرافي فهو من الآليات التى اعتمد عليها الشاعر المعاصر لمقاومة حالة اللا معنى ،أو الفراغ الذي يسيطر على عالمه المعنوي :

---

٥٢ يقول اتبعيني يا غزال، ص٢٨.

٥٣ وهبة، مجدي، كامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت:مكتبة لبنان. ١٩٧٩م:مادة سردة.

للصور مجدها الأنيق

وألوانها المتنافرة حياة وموتا

وحياتها المتجمدة في لحظة مضت (٥٤).

إنّه إحدى محاولاته(الشاعر المعاصر)لنقل مناخ تجربته مع الغياب /الموت،وانعكاساتها على نفسيته المرهقة ،بما تثيره من دهشة واستغراب ،في عالم مفارق ،لا يأبه بالواقع /الحاضر ،الذي يشهد تغيّر الملامح التى حفظتها (الصورة) وذهابها إلى غير رجعة.

وتستهدف "الصورة الفوتوغرافية" هنا التعبير عن تناقضات الحياة ،وتداخلاتها،والكشف عن اللامنطق الذي يحكم الحياة ،إنها طريقة الشاعر لأن يدخل إلى عالم الأشياء ،لا ليراها ،ولكن لكى يعاينها ،من منطلق أنها من الأشياء التى تحمل نبضا ودماء في حياته ،التى تتسم بالحياد والعدمية ،في هذا العالم،لذلك فهو يبحث عن ألفة بينه وبين الأشياء،ألفة لا يجدها مع العالم والأشخاص من حوله،إنه يلملم الوجود في هذا العالم من خلال الثبات الذي يفتقده على أرض الواقع ،وتمتلئ به الصور الفوتوغرافيّة:"حياتها المتجمدة في لحظة مضت".

الصورة الفوتوغرافية ،لحظة زمانية متفردة ،لا سبيل أمام الإنسان إلا إعادة النظر في المسلمات :حتمية الغياب:

---

٥٤ يقول اتبعيني يا غزالة ص٢٠٢.

صور غائمة

صور مشرقة

صور سالبة

صور كثيرة تزدحم بالبشر

صور أثيرة واحدة

ممعنة في الغياب(٥٥) .

هكذا تبقى الصور "الممعنة في الغياب "،ذات أثر متنوّع : "أثيرة،غائمة،مشرقة،سالبة "، قد يضعف قليلا ،ويقوى في حين آخر،نظرا للتغيّيرات التي تطرأ على حالة الإنسان كانسان أثناء مواجهته لهذا التنوّع الدال على التغيّر أو التبدّل الذي ينحدر به نحو الغياب،فلا يجد بدا من الانسحاب والانكفاء على ذاته أمام عالم مصنوع من صور ،صور تعويضيّة لواقع وحياة لا تعاش،ولا يمكن أن تعاش ،لأنها لا تكترث بالإنسان :

للصور قصيدة دون كلمات

وموسيقى فائضة بالحنين

وصوت مرتبك

---

٥٥ المصدر السابق ص١٩٨.

وخضرة مطلة من شرفة عالية جدا

ولها

شغف ما (٥٦) .

هكذا تعيد الصور الاتزان إلى وجود الشاعر ،الذي أثرت عليه تجارب الاستلاب ،عبر تعقيدات الحياة وتناقضاتها، ،والتى أفضت به إلى الفراغ ،أي إلى اللامعنى ،وذلك باستجابتها للتوهج الوجدانىّ ،الذي يرنو نحو الاستمرار ،والديمومة ،من خلال امتلائها بطاقة الحياة ،وروح الأمل، والإشراق : "ولها شغف" ،بكلّ ما فيها من تجدّد روحىّ وقوّة وجدانيّة تعزّز الحلم بالبقاء.

٥٦ المصدر السابق ص٢٠٣.

خاتمة

حاولنا في هذه الدراسة خوض غمار الشاعر العربي المعاصر، وهو يقف أمام حركة انهيارات الوجود، متسلحاً بإبداعه الذي اختبأ وراءه آملاً قهر هذه الانهيارات، وتحقيق مراده المتمثل – غالباً – بالخلود.

ولا شك أنّ هذه الدراسة تتسم بقلة الكمال، والعجز عن الإلمام بجميع ما يتصل بها ، لأنّ موضوعها يدور حول نقطتين أساسيتين تتميزان بالسعة وانعدام الحدود، وهما: الإبداع ، والشعر العربي المعاصر.

فالإبداع المرتبط هنا بانهيارات حركة الوجود – متشعب، ولا نستطيع حصر دلالاته ومضامينه، والمواقف المرتبطة به، والشعر يعبر عن تجارب وتصوير الموقف منه ، أنّه شعر مكون من عناصر عدّة قد يتطلب عنصر واحد لدراسته آلاف الصفحات، إذ يتميز بموقف حضاري وإنساني شامل يتخذ من العالم والبشرية جمعاء مادة وموضوعاً، في عصر زاد فيه الصراع بين البشر ، وكثرت فيه الويلات والمحن، ومع ذلك بقي الشاعر المعاصر ذا رؤية مستقبلية ثورته الشعر وسلاحه التضرع والأمل لغد أفضل.

المراجع

١- الأحمدي، جلال، شجرة للندم أو أكثر. مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة.ط١. ٢٠١٢.
٢- أحمد، محمد أبو العلا ، علم النفس العام ، القاهرة، مكتبة عين شمس،بدون.ص١٣٠.
٣- أسبر، علي احمد سعيد(أدونيس) من الشعر،.دار العودة،ط٢.بيروت ١٩٧٨،ص١٦١.
٤- باقر،طه ، ملحمة جلجامش، ت. وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٧،ص١١.
٥- جابر، عبدالحميد جابر، وعلاء الدين كفافي ، معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٨٨م،ج،١،ص١٩١.
٦- الجندي، أنور، خصائص الأدب العربي، دار الكاتب اللبناني، بيروت. د،ت، ص٣٦٧.
٧- الحناشي، يوسف، الرفض ومعانيه في شعر المتنبي.. الدار العربية للكتاب. تونس.١٩٨٤م.ص٥.
٨- راهن، محمد أبو عراق ، ما ليس لي،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. أربد.ط١، ٢٠١٢
٩- ربابعة، موسى جماليات الأسلوب، والتلقي، دراسة تطبيقية . دار جرير للنشر والتوزيع. عمان. ٢٠٠٨-ط١. ص١١٧.
١٠- رفقه، فؤاد، الشعر والموت، ، دار النهار للنشر، بيروت، د.ط.١٩٧٢م.
١١- ريتش، ديفيد مناهج النقد الأدبي بين النظريّة والتطبيق.ت.محمد يوسف نجم، دار صادر: بيروت، ١٩٦٧.ص٢٢٠.

١٢- زايد ،علي عشري. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، بدون.ط٥،ص٥٧.

١٣- عصفور، جابر الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغة عند العرب،ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٨م، ص١٤.

١٤- عودة، ناظم قصائد الحب والزوال، الدار العربية للعلوم: بيروت.ط(١)،٢٠١٢م ص٦٠.

١٥- غازي الغزاوي، نادية، المكان والرؤية الإبداعية، آفاق عربية، ع ٣-٤، ١٩٨٩.

١٦- امرؤ القيس، الديوان.شرح: عبد الرحمن المصطاوي .دار المعرفة، بيروت،٢٠١٢م،ص٧٩.

١٧- كامو، البير، الإنسان المتمرد ،ت، نهاد رضا، مطبعة الكرم ،ط١،لبنان، ١٩٦٣ص٦٧.

١٨- مجدي، وهبة، كامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت:مكتبة لبنان. ١٩٧٩م:مادة سردة.

١٩- عمرو بن معدي كرب الديوان.تحقيق:مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية :دمشق، ١٩٨٥،ص٧٣.

٢٠- مفرّج، سعديّة يقول اتبعيني يا غزالة. الجزائر .ط ١ . ٢٠١٠ص١٣٩

٢١- هاشم، علوي ما قالته النخلة للبحر" الشعر المعاصر في البحرين"، دار الحرية، بغداد، د.ط،١٩٨١م،ص٥١٩.